

المحاضرة الثالثة : مراحل البحث الاجتماعي

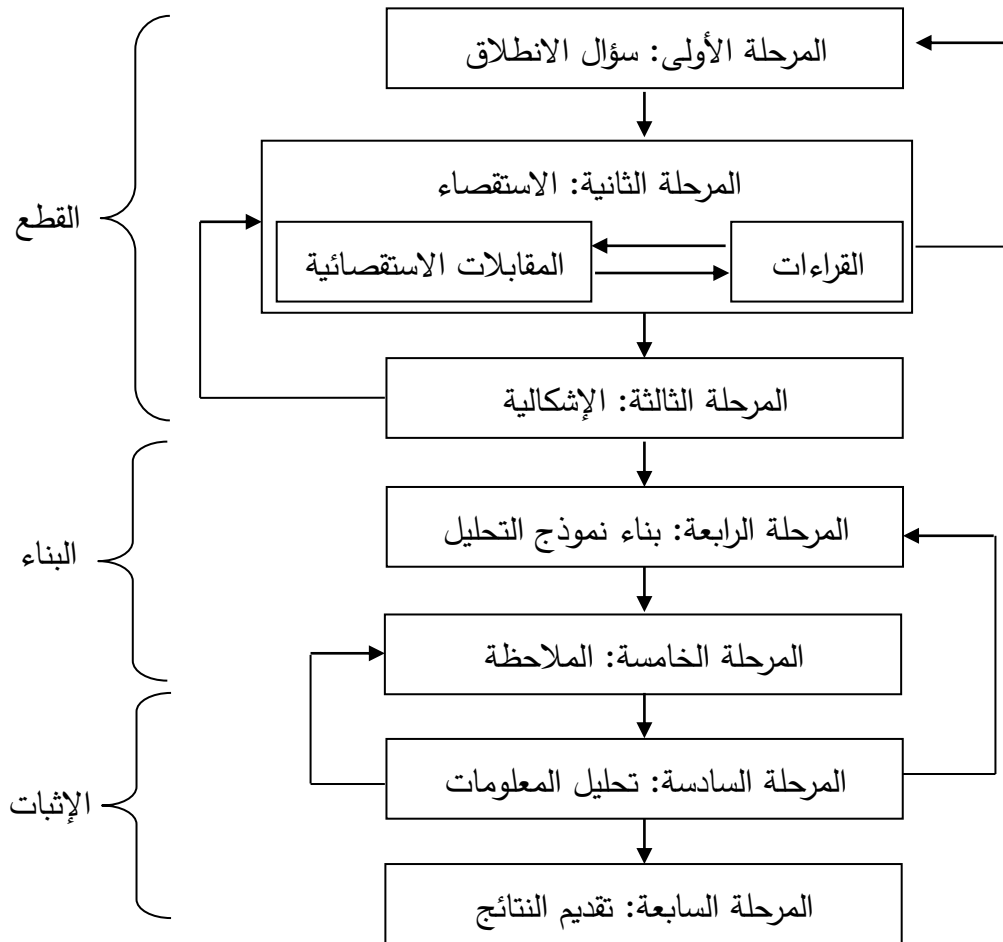
نماذج لمراحل البحث الاجتماعي:

تتباين تصورات مختلف الباحثين في سياق خطوات البحث الاجتماعي، فقد ذهب البعض منهم إلى تصنيفها في ثلاث (03) أو ستة (06) مراحل، أما البعض الآخر فقد لخصها في سبعة (07) مراحل.

أ. نموذج ريمون كفي ولوك فان كامبنهاودت (Raymond Quivy & Luc Van Campenhoudt):

لقد قسم كل من ريمون كفي ولوك فان كامبنهاودت البحث العلمي إلى ثلاثة (03) أطوار، أين كل طور ينقسم بدوره إلى العديد من المراحل أو الخطوات كما يبينه الشكل المدرج أسفله:

الشكل (01): يوضح مراحل إجراء البحث الاجتماعي



Source: Raymond Quivy & Luc Van Campenhoudt, **Manuel de recherche en sciences sociales**, Dunod, Paris, 1988, p15.

لابد من فهم المراحل الأساسية لطريقة البحث في العلوم الاجتماعية.

يوضح الشكل المراحل السبعة (07) للبحث الاجتماعي.

يمكن تمثيل هذه الافعال الثلاثة الأساسية في:

- **القطيعة:** ليست هناك مكانة لأي بحث بدون قطيعة، بمعنى قطيعة مع الآراء، الحقائق الخاطئة والأحكام المسبقة...

تكمن أهمية القطع الذي يركز تحديدا على فهم أية علاقة مع الأحكام المسبقة والبدهييات الخاطئة التي توهمنا فقط بأننا نفهم الأشياء ، القطع أو القطيعة اذن هو الفعل التكويني الأول في المسار العلمي

البناء: ولا يتم القطع إلا بالرجوع إلى نسق مفهومي منظم وقادر على التعبير عن المنطق الذي يفترضه الباحث في أساس الظاهرة ، وبفضل هذه النظرية بإمكان الباحث أن يتبنى قضايا تفسيرية لظاهرة ينوي دراستها ، وأن يتتبأ بخطط البحث الذي سيطبقه ، والعمليات التي سينفذها والنتائج التي يجب أن يتوقعها منطقيا في نهاية مرحلة المعاينة ، وبدون هذا البناء لن يكون هناك تجريب ، والابتعاد عما نفكر لاكتشافه بتدعيم المعارف ابتداء من جمع المعطيات الوثائقية والميدانية.

- **المعاينة (الاثبات) :** كبعد عملي يرمي إلى الإجابة على سؤال البحث والإشكالية واختبار الفرضيات من خلال التحقيق الميداني...، ولابد على الباحث أن يثبت المعلومات مع الواقع الملموس .
بالنسبة للمراحل:

■ المرحلة الأولى: سؤال الانطلاق:

إن الطريقة الجيدة لدراسة بحث اجتماعي تتطلب بدل مجهود لغرض أو توضيح المشروع على شكل سؤال الانطلاق الذي يكون واضحا، واقعيا يتماشى وإمكانيات الباحث من حيث: الوقت، الجانب البشري، الجانب المادي... حيث يحاول الباحث من خلال هذا السؤال، التعبير بشكل صائب على ما يريد معرفته، وفهمه بشكل أحسن...⁽¹⁾.

⁽¹⁾ Raymond Quivy & Luc Van Campenhoudt, **Manuel de recherche en sciences sociales**, Dunod, Paris, 1988, p26.

■ المرحلة الثانية: مرحلة الاستكشاف (الاستقصاء):

والتي تتضمن البحث الببليوغرافي/النظري، إضافة إلى البحث الميداني؛ وهي كمرحلة تسمح بالحصول على نوع من المعلومات الجيدة حول الموضوع المدروس، وإيجاد أحسن الطرق لتناوله؛ وتتضمن هذه المرحلة:

➤ قراءات حول الموضوع المدروس من: وثائق، مراجع، مجلات، بحوث سابقة، إحصائيات.

➤ المقابلات الاستقصائية: تكون كتكملة للقراءات، إذا اقتضت الحاجة لذلك، مع المختصين في الميدان، كفاءات علمية...، ويسمح مثل هذا الإجراء، بإدخال تعديلات طفيفة على سؤال الانطلاق.

■ المرحلة الثالثة: إشكالية البحث:

سيتم توضيح بناء إشكالية البحث بشكل تفصيلي في المحور الثالث، إلا أنه في هذه المرحلة حسب نموذج ر.كيفي & ل. ف. كامبنهاودت، على الباحث التركيز على المقاربة التي يقرر اعتمادها أو تبنيها لمعالجة أو دراسة المشكلة الم

طروحة من خلال سؤال الانطلاق.

وعليه تستلزم إشكالية البحث (كمرحلة معقدة لمسار البحث) مطلبين:⁽²⁾

➤ عمل يتطلب معرفة واضحة للنظريات والمفاهيم الموجودة حول موضوع الدراسة...

➤ عمل يتطلب تموقع الباحث بالنسبة لهذه النظريات.

■ المرحلة الرابعة: مرحلة البناء (اقتراح تفسيري للظاهرة):

وهي تتبع المرحلة الاستقصائية وتعريف المشكلة الخاصة على شكل سؤال الانطلاق؛ وهنا يتم بناء الإطار المفاهيمي المرجعي ابتداء من سؤال الانطلاق (بأخذ كل كلمة لسؤال الانطلاق)، والذي هو عبارة عن مجموعة من المعارف، المفاهيم، المرجعيات التي تسمح بوصف، تفسير وتحليل الموضوع، في هذا الصدد، يشير بورديو وباسرون (Bourdieu et Passeron) إلى أن: "موضوع البحث، مهما كان جزئياً أو متقطعاً، لا يمكن تحديده وبنائه إلا وفقاً لإشكالية نظرية تسمح بإخضاع أشكال الواقع إلى تساؤل منظم..."⁽³⁾؛ بمعنى أن كل بحث يندرج في إطار نظري مرجعي أو إطار مفاهيمي، وكل بحث يستخدم

⁽²⁾ Raymond Quivy & Luc Van Campenhoudt, Op- cit, p26.

⁽³⁾ M. Bellanger, Du constat à la question de départ, in ifsi.paca.free.fr/.../Du_constat_a_la_question_de_depart.pdf (page consultée le 23 /10/2016).

مفاهيم أساسية يحاول الباحث تفسيرها، حيث يكون ترتيب المفاهيم والمفاهيم الفرعية المبنية أثناء صياغة المشكلة الخاصة... لوضع التحليل اللاحق لموضوع الدراسة.

كما يمكن توضيح الهدف من الإطار النظري في إطار سؤال الانطلاق أو البحث، في الطرح أو البحث عن نظريات مشتركة أو متناولة في مختلف المراجع.

■ المرحلة الخامسة: المعاينة:

تضم هذه المرحلة مجموع العمليات التي يكون من خلالها نموذج التحليل مواجهها بمعطيات ملحوظة، كما يتم جمع العديد من المعلومات التي يتم تحليلها، بشكل منظم، في المرحلة اللاحقة. يرجع تصميم مثل هذه الملاحظة إلى الإجابة عن ثلاثة (03) أسئلة:⁽⁴⁾

- ماذا نلاحظ؟: المعطيات الملائمة والمفيدة التي يجب جمعها للتحقق من الفرضيات، والتي هي محددة بمؤشرات المتغيرات.
 - من نلاحظ؟: هنا يجب الإحاطة بحقل التحليلات الأمبريقية، سواء تعلق الأمر بدراسة المجتمع ككل أو عينة ممثلة له.
 - كيف نلاحظ؟: بمعنى، ما هي الأدوات الخاصة بالملاحظة وجمع المعطيات؛ إذ، تضم الملاحظة:
 - تصميم الأداة الكفيلة بتوفير المعلومات الملائمة والضرورية للتحقق من الفرضيات، على سبيل المثال: استمارة تحقيق، دليل المقابلة، دليل الملاحظة المباشرة.
 - اختبار أداة الملاحظة قبل استخدامها بشكل يضمن درجة تلاؤمها ووضوحها.
 - إجراء جمع المعطيات الملائمة.
- وعليه يبقى الاختيار ما بين الطرق مرهونا بفرضيات العمل، وتعريف المعطيات الملائمة...

■ المرحلة السادسة: تحليل المعلومات:

تعالج هذه المرحلة المعلومات المتحصل عليها عن طريق الملاحظة للتمكن من مقارنة النتائج الملاحظة مع النتائج المنتظرة؛ وهي كمرحلة تضم:

- وصف وتحضير المعطيات.
- قياس العلاقات ما بين المتغيرات.
- البحث عن معنى الفوارق.

⁽⁴⁾ Raymond Quivy & Luc Van Campenhoudt, Op- cit, p196.

■ المرحلة السابعة: الاستخلاصات (الاستنتاجات):

- التذكير بالطريقة المتبعة.
- تقديم النتائج بتوضيح: المعارف الجديدة، التأثيرات التطبيقية...

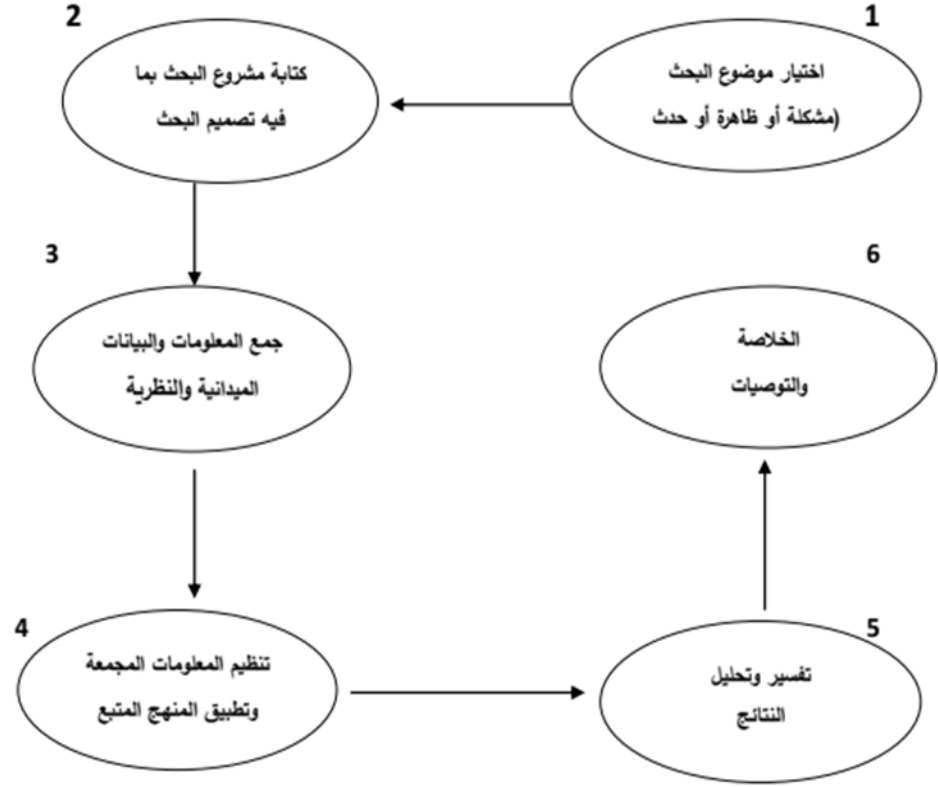
ب. نموذج معن خليل عمر:

يبين هذا النموذج بأن البحث في علم الاجتماع يمر بستة (06) مراحل⁽⁵⁾، يبدأ الباحث باختيار الموضوع المراد دراسته، مع توضيح الدوافع في انتقائه دون سواه، حيث يقوم بإعداد تصميم أولي، توضيح الإجراءات المنهجية المعتمدة التي تمهد لمباشرة جمع المعلومات والبيانات عن العينة المختارة، تحديد المجالات الزمنية والمكانية، تنظيم وتبويب المعلومات المجمعة بطريقة متسلسلة، ليقوم، فيما بعد، الباحث بتفسير هذه المعطيات وتحليل النتائج المستخلصة من الدراسة ومقارنتها مع نتائج الدراسات السابقة التي استعان بها لتدعيم بحثه.

كما يدرج الباحث، في الأخير أهم النتائج التي توصل إليها مع تسطير بعض الاقتراحات وتوضيح ما تم تحقيقه من الأهداف التي رسمها في بداية بحثه.

الشكل (02): مراحل البحث الاجتماعية العامة

⁽⁵⁾ معن خليل عمر، *مناهج البحث في علم الاجتماع*، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص19.



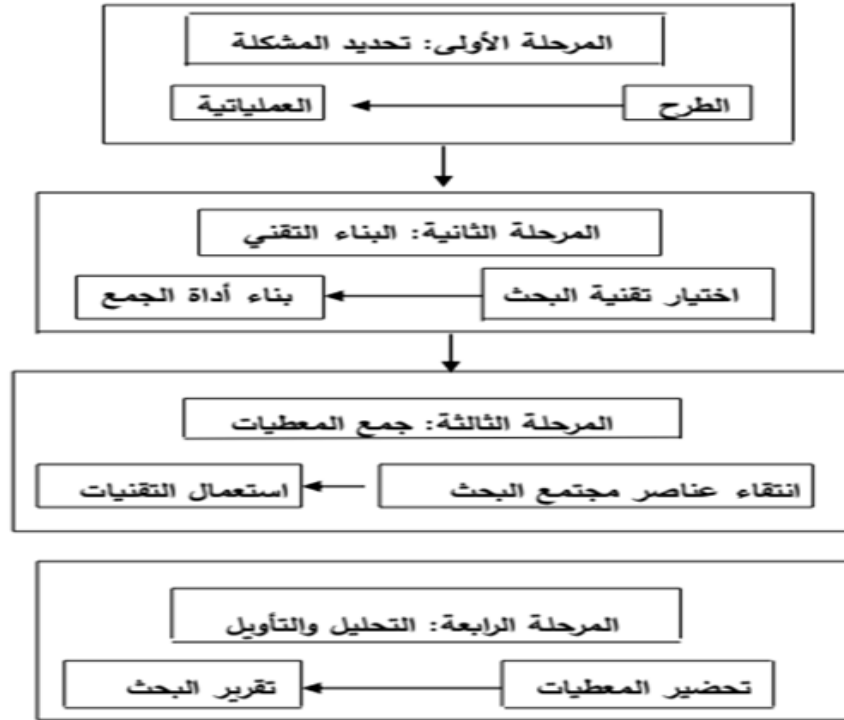
المصدر: معن خليل عمر، مرجع سابق، ص 19.

ج. نموذج موريس أنجرس (Maurice Angers):

يقسم موريس أنجرس (Maurice Angers) في الشكل المدرج أدناه، مراحل البحث إلى أربعة (04) مراحل: (6) المرحلة الأولى: تحديد المشكلة - المرحلة الثانية: البناء التقني - المرحلة الثالثة: جمع المعطيات - المرحلة الرابعة: التحليل والتأويل.

(6) Maurice Angers, **Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines**, Editions CEC inc, Canada, 1996, pp355-356.

الشكل (03): مراحل البحث حسب موريس أنجرس Maurice Angers



Source: Maurice Angers, Op- cit, pp355-356.

• المرحلة الأولى:

تحديد المشكلة التي تتضمن خطوتين:

- **الخطوة الأولى:** تتمثل في طرح الذي يتم فيه اختيار موضوع البحث، مع الاطلاع على مختلف الأدبيات التي ترتبط بالموضوع، ثم التوجه نحو صياغة الإشكالية بصورة مدققة، بالتركيز على إبراز أهمية المشكلة المطروحة، الهدف من الدراسة، والمعلومات المجمعة بعد الاطلاع على الأدبيات المتعلقة بالموضوع، معرفة الواقع باختيار السؤال الذي يجب طرحه.
- **الخطوة الثانية: العملياتية (L'opérationnalisation):** يتم فيها طرح الفرضية أو تحديد الهدف من البحث بالإجابة عن سؤال البحث، والقيام بتحليل المفاهيم، تحديد المتغيرات (المتغير المستقل/المتغير التابع)، مع إعداد الإطار المرجعي للبحث بالوقوف على خصائص مجتمع البحث المراد دراسته، إضافة إلى تحديد مجالات البحث (المكاني/الزماني) مع الأخذ بعين الاعتبار للإمكانيات المتوفرة لإجراء البحث.

• المرحلة الثانية: البناء التقني:

- **الخطوة الأولى:** اختيار تقنية أو تقنيات البحث بعد الاطلاع على التقنيات المتوفرة؛- اختيار التقنية التي تتناسب مع طبيعة البحث، وتبرير اختيارها.
- **الخطوة الثانية:** بناء أداة الجمع: هنا يتم استيعاب الإطار المفاهيمي للبحث، والتأكد من معرفة القواعد التي يجب إتباعها، ثم بناء أداة جمع البيانات: الملاحظة، المقابلة، الاستمارة...
- **المرحلة الثالثة: جمع المعطيات:**
- **الخطوة الأولى:** انتقاء عناصر مجتمع البحث، بالاطلاع على التصنيفات المختلفة للمعينة لاختيار نوع العينة المناسبة، وتفسير كيفية اختيارها...
- **الخطوة الثانية:** استعمال التقنيات التي تكون طبقا لتخطي عملية جمع المعلومات، والقيام باتصالات ومعاودتها مع المعنيين... مع التأكد من الاستخدام الجيد لمختلف تقنيات البحث المعتمدة...
- **المرحلة الرابعة: التحليل والتفسير:**
- **الخطوة الأولى:** التحليل والتأويل: هنا يتم القيام بالترميز إذا كانت الحاجة لذلك، مع التحقق من المعطيات المجمعة لانتقاء تلك الصالحة للاستعمال، مع تحويلها إلى سند ملائم، مراجعتها لوضعها في شكل مناسب.
- **الخطوة الثانية:** تقرير البحث: تتمثل في العمليات الخاصة بتحليل المعطيات، تأويلها إلى نتائج، ثم إعداد مخطط التقرير، كتابة التقرير، مع الأخذ بعين الاعتبار للقواعد التي يجب إتباعها في التقديم ثم القيام بالنشر.

د. نموذج غوتيي بونوا (Gauthier Benoît):

يتضمن هذا النموذج ثلاث (03) مراحل تتمثل في:- مرحلة تحضير البحث- مرحلة تشكيل المعلومة- مرحلة تحليل الملاحظة.

الجدول (01): مراحل البحث الاجتماعي حسب غوتيي بونوا Gauthier Benoît

الملاحظة-التنظير					
تحليل الملاحظة		تشكيل المعلومة		تحضير البحث	
				هيكلية البحث	إعداد موضوع الدراسة
معالجة المعطيات تحليل المعطيات	←	الملاحظة المباشرة	←	هيكلية المفاهيم	تخصيص الإشكالية
		مقابلة غير موجهة		القياس	المرور إلى المعلومة
		مقاربة بيوغرافية		الأخلاق	نظرية و معنى البحث
		جماعة النقاش (التحاور)			النمذجة
		تحليل المضمون			
		التحقيق (سبر الآراء)			
		معطيات ثانوية			

Source: Gauthier Benoît, Op- cit, p09.

انطلاقاً من هذا الجدول، يمكن القول بأن المرحلة الأولى للبحث الاجتماعي (المرحلة التحضيرية) تتوقف على تحضير الملاحظة، وهي تضم خطوتين أساسيتين:

1. إعداد موضوع الدراسة:

يتضمن إعداد موضوع الدراسة العديد من الأفكار والعمليات التي يجب اتخاذها، حيث يتساءل الباحث أولاً على ما يريد معرفته، على أي موضوع يريد طرح تساؤلاته، فهو مطالب بتحديد حقل اهتمامه، كما أن هذا التحديد له تأثير عميق على بقية إجراء البحث (تخصيص أو تحديد المشكلة).

تجدر الإشارة إلى أن هناك مرحلة هامة عند إعداد موضوع الدراسة تتمثل في تحليل المصادر الببليوغرافية المتعلقة بالإشكالية...؛ وبالتالي مثل هذه المقدمات تسمح بالوصول إلى قلب إعداد موضوع البحث: التنظير (La Théorisation)؛ كما أن إدماج نظرية في الإشكالية هو نقطة أساسية في البحث الاجتماعي، باعتبار النظرية كـ: "مجموعة مبادئ وتعريفات مرتبطة تقيد تصورنا في تنظيم جوانب مختارة من العالم الأمبريقي على نحو منسق ومنظم" (7)، فهي تسمح بتأويل المعطيات، تعميم النتائج وتأطير البحث...، حيث يستخرج من كل هذا التحضير موضوع البحث نفسه: الفرضية أو التساؤلات...؛ أما النمذجة فهي بمثابة طريقة للتصور النظري الذي يشكل توجهها لتبني نظرية موجودة.

2. هيكلية البحث (بناء البحث):

(7) فاروق مداس، مرجع سابق، ص280.

هنا يكون التركيز على تحديد المنطق الذي يسمح بالمصادقة أو عدم المصادقة على الفرضيات، كما يكون الاهتمام بتحديد مجتمع الدراسة: دراسة الحالات المتوفرة أو اختيار واحدة منها، ومن هنا، توضيح طريقة اختيار أفراد العينة، دون نسيان المسائل الأخلاقية (دراسة القيم وعلاقتها بأنماط السلوك)...

أما المرحلة الثانية للبحث الاجتماعي - تشكيل المعلومة أو جمع المعطيات - يمكن أن تتجزأ بطرق مختلفة: إجراء ملاحظة منظمة في الميدان، مقابلات ومناقشات جماعية، الالتجاء لطريقة تحليل المضمون، سبر الآراء أو التحقيق الميداني...
والمرحلة الثالثة تحليل الملاحظات المجمعة: تضم هذه المرحلة معالجة وتحليل المعطيات، واستخلاص النتائج...

وخلاصة لما سبق لقد تمت الإحاطة ببعض النماذج المتعلقة بمراحل البحث الاجتماعي، التي تبيين مختلف المحطات الرئيسية منذ بداية تصور الموضوع، جمع المادة العلمية من خلال القراءات/الدراسات الاستطلاعية، التقنيات الخاصة بجمع المعلومات إلى غاية تحليل النتائج، وما على للباحث إلا الاستناد إلى النموذج الذي يراه مناسباً ويساعده على الإلمام بأبعاد الظاهرة المراد معالجتها